بسم الله الرحمن الرحيم

82- كتاب القدر

1- باب: القدر

6594- عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم يُنفخ فيه الروح فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخُلها». [أطرافه في: 3208].

6595- عن أنس عن النبي ﷺ قال: «وكّل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نُطفه؟ أي رب علقة؟ أي رب مُضغة؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أُنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل؟ فيُكتب كذلك في بطن أمه».

قوله: القدر: قال الراغب هو وجود شيء في وقت وعلى حال بوفق العلم والإرادة والقول. وقال الكرماني المراد بالقدر حكم الله وقالوا - أي العلماء - القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل والقدر جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله. وقال أبو المظفر السمعاني سبيل معرفة هذا الباب التوفيق من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل فمن عدل عن التوفيق فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف لهم قبل دخولها أهـ وقد أخرج الطبراني من حديث ابن مسعود رفعه "إذا ذكر القدر فأمسكوا" وأخرج مسلم عن ابن عمر يقول "قال رسول الله ﷺ كل شيء بقدر حتى العجز والكيس" قلت والكيس ضد العجز ومعناه الحذق في الأمور ويتناول أمور الدنيا والآخرة. ومعناه أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته وإنما جعلها في الحديث غاية لذلك للإشارة إلى أن أفعالنا وإن كانت معلومة لنا ومراده منا فلا تقع مع ذلك مِنّا إلا بمشيئة الله. قوله: يجمع في بطن أمه: المراد بالجمع ضم بعضه إلى بعض بعد الانتشار قال القرطبي: المراد أن المنّي يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافعة مبثوثا ﷺ متفرقاً فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم. قوله: أربعين يوماً: عند أبي عوانه زاد "نطفه" فبين أن الذي يجمع هو النطفة والمراد بالنطفة المنّي وأصله الماء الصافي القليل والأصل في ذلك أن ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق من ذلك جنيناً هيأ أسباب ذلك. قوله: ثم علقه مثل ذلك: هي الدم الجامد الغليظ للرطوبة التي فيه وبما مر فيه. ومعناه أنها تكون بتلك الصفة مدة الأربعين ثم تنقلب إلى الصفة التي تليها ويحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئاً فشيئاً فيخالط الدم

النطفة في الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها وتجري في أجزائها شيئاً فشيئاً حتى تتكامل علقة قبل ذلك ما دامت نطفه وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة. قولـه: ثم يكون مضـغه مثل ذلك: المضغة قطعه اللحم سميت بذلك لأنها قدر ما يمضغ الماضغ. قولـه: ثم يبعث الله ملكاً: أي يؤمر بذلك. قولـه: برزقه وأجله وشقي أو سعيد: المراد من كتابة الرزق تقديره قليلا أو كثيراً وصفته حراماً أو حلالاً وبالأجل هل هو طويل أو قصير وبالعمل هل هو صالح أو فاسد. قولـه: بعمل أهل النار: أي يتلبس في عمله بعمل أهل النار وظاهره أنه يعمل بذلك حقيقة ويختم له بعكسه. قولـه: غير زارع أو باع: التعبير بالذراع تمثيل بقرب حالة من الموت فيحال من بينه وبين المكان المقصود بمقدار ذراع أو باع من المسافة وضابط ذلك الحسي الغرغرة التي جعلت علامة لعدم قبول التوبة. قولـه: بعمل أهل الجنة: يعني من الطاعات الاعتقاديه والقوليه والفعلية.

الحديث الثاني: قولـه: أي رب نطفه أي رب علقه – إلخ: أي يقول كل كلمه من ذلك في الوقت الذي تصير فيه كذلك. قولـه: يقضي خلقها: أي يأذن فيه

2- باب: حق القلم على علم الله وقولـه "وأضلّهُ الله على علم"

- روى معلقاً ووصله ابن أبي حاتم: قال ابن عباس: لها سابقون سبقت لهم السعادة.

6596- عن عمران بن حصين قال: قال رجل يا رسول الله أيُعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم» قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «كُل يعمل لما خُلق لـه أو لمـا يُيسّـر لـه». [أطرافه في: 7551].

قولـه: حق القلم: أي فرغت الكتابة إشارة إلى أن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمة فهو كناية عن الفراغ من الكتابة لأن الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم فإذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم. قلت وفيه إشارة إلى أن كتابة ذلك انقضت من أمد بعيد. قولـه: على علم الله: أي على حكمة لأن معلومة لا بد أن يقع فعلمه بمعلوم يستلزم الحكم بوقوعه. قولـه: وقال ابن عباس لها سابقون – إلخ: المعنى أنهم سارعوا إلى الخيرات بما سبق لهم من السعادة بتقدير الله. قولـه: فلم يعمل العاملون: هو استفهام والمعنى إذا سبق القلم بذلك فلا يحتاج العامل إلى العمل لأنه سيصير إلى ما قدر له. قولـه: كل يعمل لما خلق لـه أو لما ييسر لـه: فيه إشارة إلى أن المآل محجوب عن المكلف فعليه أن يجتهد في عمل ما أمر به فإن عمله أماره إلى ما يؤول إليه أمره غالباً وإن كان بعضهم قد يختم له بغير ذلك كما ثبت في حديث ابن مسعود لكن لا إطلاع له على ذلك فعليه أن يبذل جهده ويجاهد نفسه في عمل الطاعة ولا يترك وكولا إلى ما يؤول إليه أمره فُيلام على ترك المأمور ويستحق العقوبة.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب النكاح حديث [5070].

3- باب: الله أعلم بما كانوا عاملين

6597- تقدم في كتاب الجنائز حديث [1383]. 6599- تقدم في كتاب الجنائز حديث [1358].

4- باب: وكان أمر الله قدراً مقدوراً

6604- عن حذيفة قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خُطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره عِلمهُ من علِمهُ وجَهلهُ من جهلهُ إن كنُت لأدري الشيء قد نسيته فأعرفُه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه قرآه فعرفه.

6605- تقدم في حديث [1362].

قولـه: وكان أمر الله قدراً مقـدورا: أي حكما مقطوعا بوقوعه والمراد بالأمر واحد الأمور المقدرة ويحتمل أن يكون واحد الأوامر لأن الكل موجود بكُن. **قولـه: علمه من علمـه**: أي علموا وقوع ذلك المقام وما وقع فيه من الكلام. **قولـه: فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه**: أي يرى الشيء الذي كان نسيه فإذا رآه عرفه أي الذي كان غاب عنه فنسي صورته ثم إذا رآه عرفه.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الشروط حديث [2723] وكتاب الجنائز حديث [1284] وكتاب البيوع حديث [2229] وكتاب الجنائز حديث [1362].

5- باب: العمل بالخواتيم

6606- تقدم في كتاب الجهاد والسير حديث [2898].

قولـه: العمل بالخواتيم: لما كان ظاهر حديث عليّ يقتضي اعتبار العمل الظاهر أردفة بهذه الترجمة الداله على أن الاعتبار بالخاتمة.

6- باب: إلقاء العبد النذر إلى القدر

6608- عن ابن عمر قال: نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «**انه لا يُردّ شيئاً إنما يستخرج به مـن البخيل**». [أطرافه في: 6692].

6609- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته ولكـن يلقيه القدر وقد قدرتُه لـه أستخرجُ به من البخيل**». [أطرافه في: 6694].

قولـه: انه لا يردُ شيئاً: أي لا يُجر لهم في العاجل نفعاً ولا يصرف عنهم شراً ولا يُغير من القضاء قاله ابن الأثير.

الحديث الثاني: قولـه: ولكن يلقيـه القـدر: أي إلى النذر والنذر يُلقيه إلى الإعطاء. قاله الكرماني.

قوه وقد قدّرت لـه: في مسلم "ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج".

7- باب: لا حول ولا قوة إلا بالله.

6610- عن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو

شرفاً ولا نهبط في وادٍ إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير فدنا منّا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً ثم قال: يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمه هي من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله**». [أطرافه في: 2992].

قوله: **لا حول ولا قوة إلا بالله**: معنى لا حول تحويل للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة له على طاعة الله إلا بتوفيق الله. وقيل معنى لا حول: لا حيلة. وقال النووي: هي كلمة استسلام وتفويض وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً وليس له حيله في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى. قوله: **اربعوا**: أي أرفقوا. قال ابن بطال: كان ﷺ معلماً لأمته فلا يراهم على حاله من الخير إلا أحب لهم الزيادة فأحب الذين رفعوا أصواتهم بكلمة الإخلاص والتكبير أن يضيفوا إليها التبرى من الحول والقوة فيجمعوا بين التوحيد والإيمان بالقدر. قوله: **من كنوز الجنة**: المراد أنها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة. قال النووي. المعنى أن قولها يُحصّل ثواباً نفيساً يُدخر لصاحبه في الجنة.

8- باب: المعصوم من عصم الله

6611- عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**ما استخلف خليفة إلا له بطانتان. بطانة تأمرهُ بالخير وتحضه عليه وبطانه تأمره بالشر وتحضُه عليه والمعصوم من عصم الله**». [أطرافه في: 7198].

قوله: **المعصوم من عصم الله**: أي من عصمه الله بأن حماه من الوقوع في الهلاك أو ما يجر إليه يقال عصمة الله من المكروه وقاه وحفظة واعتصمت بالله لجأت إليه وعصمه الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام حفظهم من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفيسة والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب وفي حق غيرهم بطريق الجواز.

قوله: **بطانة**: اسم جنس يشمل الواحد والجماعة والمراد من يطلع على باطن حال الكبير من أتباعه.

9- باب: قوله تعالى{أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ} وقوله{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} وقوله{وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا}

6612- تقدم في كتاب الاستئذان حديث [6243].

فائدة: الغرض من دخول ذلك في أبواب القدر ظاهر فإنه يقتضي سبق علم الله بما يقع من عبيده.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب الاستئذان حديث [6243] ووجه دخوله هنا قوله "أدرك ذلك لا محالة" أي لابد من عمل ما قدر عليه أن يعمله وبهذا تظهر مطابقة الحديث للترجمة. قال ابن بطال: كل ما كتبة الله على الآدمي فهو قد سبق في علم الله وإلا فلابد أن يدركه المكتوب عليه وإن الإنسان لا يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه إلا أنه يُلام إذا واقع ما نهى عنه بحجب ذلك

عنه وتمكينه من التمسك بالطاعة فبذلك يندفع قول القدر به والمجبره ويؤيده قوله "والنفس تمنى وتشتهي" لأن المشتهي بخلاف الملجأ.

10- باب: قوله تعالى{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ}

6613- تقدم في كتاب التفسير حديث [4716].

قوله: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس: وجه دخوله في أبواب القدر من ذكر الفتنه وأن سبحانه وتعالى هو الذي جعلها وقد قال موسى عليه السلام "إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء" وأصل الفتنة الاختبار ثم استعملت فيما أخرجه الأختيار إلى المكروه ثم استعملت في المكروه. فتارة في الكفر كقوله "والفتنة أشد من القتل" وتارة في الإثم كقوله "ألا في الفتنة سقطوا" وتارة في الإحراق كقوله: إن الذين فتنوا المؤمنين" وتارة في الإزالة عن الشيء كقوله "وإن كادوا ليفتنونك" والمراد بها في هذا الموضع الاختبار على بابها الأصلي. قال ابن التين: وجه دخول هذا الحديث في كتاب القدر الإشارة إلى أن الله قدر على المشركين التكذيب لرؤيا نبيه الصادق فكان ذلك زيادة في طغيانيهم حيث قالوا: كيف يسير إلى بيت المقدس في ليلة واحده ثم يرجع فيها؟ وكذلك جعل الشجرة الملعونة زيادة في طغيانهم حيث قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟ وفيه خلق الله الكفر ودواعي الكفر كمن الفتنة. والجواب عن شبهتهم أن الله خلق الشجرة المذكورة من جوهر لا تأكله النار ومنها سلاسل أهل النار وأغلالهم وخزنة النار من الملائكة وحياتها وعقاربها وليس ذلك من جنس ما في الدنيا وأكثر ما وقع الغلط لمن قاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا.

11- باب: تحاجّ آدمُ وموسى عند الله.

6614- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم: يا موسى آصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدرهُ الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى ثلاثا**». [أطرافه في: 4736].

قوله: احتج آدم وموسى: قال الطيبي: أي غلبة بالحجة وقوله بعد ذلك "قال موسى أنت آدم - إلخ" توضيح لذلك وتفسير لما أجمل وقوله في آخرة "فحج آدم موسى" تقرير لما سبق وتأكيد له" وقد اختلف العلماء في وقت هذا اللفظ فقيل يحتمل أنه في زمان موسى فأحيا الله له آدم معجزة له فكلمه أو كشف له عن قبره فتحدثا أو أراه الله روحه. أو أراه الله له في المنام ورؤيا الأنبياء وحي أو كان ذلك بعد وفاة موسى فالتقيا في البرزخ أوّل ما مات موس فالتقيت أرواحهما في السماء وبذلك جزم ابن عبد البر والقابسي. وذكر ابن الجوزي احتمال التقائهما في البرزخ واحتمال أن يكون ذلك ضرب مثل والمعنى لو اجتمعا لقالا ذلك وخص موسى بالذكر لكونه أول نبي بعث

بالتكاليف الشديدة. قوله: خيبتنا وأخرجتنا من الجنة: من الخيبة فالمراد به الحرمان وقيل: هي كأغويتنا من إطلاق الكل على البعض ولمراد من يجوز منه وقوع المعصية ولا مانع من حمله على عمومه والمعنى أنه لو استمر على ترك الأكل من الشجرة لم يخرج منها ولو استمر فيها لولد له فيها وكان ولده سكان الجنة على الدوام فلما وقع الإخراج فإن أهل الطاعة من ولده استمرار الدوام في الجنة وإن كانوا فيها ينتقلون وفات أهل المعصية تأخر الكون في الجنة مده الدنيا وماشاء من مده العذاب في الآخرة إما مؤقتاً في حق الموحدين وإما مستمرا في حق الكفار فهو حرمان نسبي. قوله: قبل أن يخلقني بأربعين سنه: قال ابن الجوزي المعلومات كلها قد أحاط بها علم الله القديم قبل وجود المخلوقات كلها ولكن كتابتها وقعت في أوقات متفاوتة وقد ثبت في مسلم "إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنه" فيجوز أن تكون قصة آدم بخصوصها كتبت قبل خلقه بأربعين سنه ويجوز أن يكون ذلك القدر مدة لبثه طيناً إلى أن نفخت فيه الروح فقد ثبت في مسلم أن بين تصويره طينا ونفخ الروح فيه كان مدة أربعين سنه. ولا يخالف ذلك كتابة المقادير عموماً قبل خلق السموات بخمسين ألف سنه وقال المازري: الأظهر أن المراد أنه كتبه قبل خلق آدم بأربعين عاماً ويحتمل أن يكون المراد أظهره للملائكة أو فعل فعلاً ما أضاف إليه هذا التأريخ وإلا فمشيئة الله وتقديره قديم. والأشبة أنه أراد أنه كتبه في التوراة. وقال النووي: المراد كتبة في اللوح المحفوظ أو في التوراة أوفي الألواح ولا يجوز أن يراد أصل القدر لأنه أزلي ولم يزل الله سبحانه وتعالى مريدا لما يقع من خلقه.

12- باب: لا مانع لما أعطى الله.

6615- تقدم في كتاب الآذان حديث [844].

13- باب: من تعوّذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء وقوله تعالى{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ}

6616- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6347].

14- باب: يحول بين المرء وقلبه.

6617- عن ابن عمر قال: كثيراً ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا ومقلب القلوب». [أطرافه في: 6628، 7391].

قوله: يحول بين المرء وقلبه: كأنه أشار إلى تفسير الحيلولة في الآية بالتقلب الذي في الخبر أشار إلى ذلك الراغب وقال: المراد أنه يلقى في قلب الإنسان ما يصرفه عن مراده لحكمة تقتضي ذلك. قوله: لا ومقلب القلوب: المراد تقليب أحوالها وفيه دلالة على أن أعمال القلب من الارادات وسائر الأعراض.

فائدة: تقدم مزيد بحث في حديث [6173].

15- **باب: قوله تعالى{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا} قضى**

- روي معلقاً ووصله عبد بن حميد والفريابي: قال مجاهد بفاتنين بُمضلين إلا من كتب الله أنه يصلى الجحيم "قدر فهدى" قدر الشقاء والسعادة وهدى الأنعام لمراتعها.

6619- تقدم في كتاب الطب حديث [5734].

قوله: إلا ما كتب الله لنا: فسر كتب بقضي وهو أحد معاينها وبه جزم الطبري. وقال الراغب: يُعبّر بالكتابة عن القضاء الممضي كقوله "لولا كتاب من الله سبق" أي فيما قدره ومنه "كتب ربكم على نفسه الرحمة" يعني ما قدره وقضاه وعبّر بقوله لنا ولم يُعبّر بقوله علينا تنبيهاً على أن الذي يصيبنا نعدُه نعمة لا نقمة.

16- **باب: قوله تعالى{وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ} وقوله{لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}**

6620- تقدم في كتاب المغازي حديث [4106].

قوله وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - إلخ: قال الراغب: هداية الله للخلق على أربعة أضرب الأول العامة لكل أحد بحسب احتماله لقوله "الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى" والثاني الدُعاء على ألسنة الأنبياء لقوله "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا" والثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى لقوله "ومن يؤمن بالله يهد قلبه" والرابعة الهداية في الآخرة إلى الجنة لقوله "وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

تم بحمد الله كتاب القدر

ويليه كتاب الأيمان والنذور إن شاء الله

* * * * *